الكتابات الاستشراقية الفرنسية عن طوراق الهقار

أ.شهاب سامية ـ جامعة سعيدة

مقدمة:

لقد اعتبرت المجتمعات الإفريقية مجتمعات لا يمكن أن يكون لها تاريخ ولا موضوعا للدراسة العلمية، مستندين في قولهم هذا بصفة خاصة إلى نقص المصادر والوثائق المكتوبة،وبصفة عامة شعوب بدائية من الدرجة الدنيا من الحضارة فنقول لهم: البدائيون هم أجدادنا المعاصرون .

وإذا كان من الممكن أن نعتبر الإلياذة والأدويسا بحق مصادر أساسية لتاريخ اليونان ،فهل ذلك يقابله إنكار كل قيمة للتراث الإفريقي المنقول الذي يعتبر بمثابة ذاكرة تنتظم نسيجها الكثير من الأحداث التي تميزت بها حياة شعوب أفريقيا.

فقد اقتصر الاهتمام عند كتابة تاريخ جزء من أفريقيا على مصادر خارجة عنه،فانتهى ذلك إلى رؤية لا تكشف عن المسار المرجح عن هذه القارة ومنها الصحراء الكبرى التي صورت على أنها فضاء منيع يحول دون امتزاج الإثنيات والشعوب وتبادل السلع والمعتقدات والتقاليد والعادات والأفكار بين المجتمعات التي تقوم على الجوانب المختلفة من تلك الصحراء.

فكيف كانت الكتابات والدراسات الاجتماعية التي قام بها جمع من المستشرقين ماضيا وحاضرا؟؟.

لا بد في البداية من مراجعة كل الكتابات الاستشراقية وإخضاعها للتعديل والتنقيح والنقد بواسطة كل جيل بما يملك من ثقافة ووثائق وقدرات على التحليل

والبحث ,وذلك ما يسميه البعض بـ"إعادة كتابة التاريخ". وهي تسمية غير صحيحة فالإعادة هنا قد تعني في بعض الأذهان النقص الكلي أو الرفض الشامل للتاريخ والكتابات التاريخية السابقة والبدء من الصفر .

والصحيح هو:"مراجعة التاريخ وتنيقيحه على ضوء المعطيات والثقافات الجديدة. (1)

فالخطاب الأنثروبولوجي انطلق من الحدث الأساسي الذي شكله الاستعمار ليستريحوا ويطول بهم المقام ، لذا حان الوقت لدحض الروايات المغرضة في حق الطوارق وسحب الأساطير من حولها التي تستهدف أحداث الشقاق بين أبناء البلد الواحد . فهذه الكتابات اتسمت بتضارب نتائجها وغلب عليها الطابع الذاتي التي نسج حولها الرحالة والمغامرون قصصا أبعد ما تكون عن واقع سكان الطوارق ، وترتكز على الطابع الأسطوري في ثقافة الآخر وإضفاء عليها طابع الطرائف .

فلقدكان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى تحقيق غايتين أساسيتين:

1. غزو الأرض.
2. غزو الفكر .

الغزو العسكري والغزو الفكري ،وقام بتنفيذ الغرض الأول العسكري بينما أسند الغرض الثاني لرجال الدين ,لهذا الغرض جلب **دوبورمون** (قائد الحملة العسكرية على الجزائر في 1840 معه 16 قسيسا ،كانوا قد رافقوا الجيش الفرنسي فقد صرح الجنرال دوبورمون " Debourmont " للقساوسة ورجال الدين قائلا: " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تنيع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع "(2)

فاحتضنت فرنسا بذلك سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين رغم أنها دولة علمانية كما ينص دستورها.

إن اليسوعيين المطردوين من فرنسا هم خصومها في الداخل وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها شأن ذلك شأن ايطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياساتها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين فالسياسة الاستعمارية مبنية على محاربة الركائز الوطنية الجزائرية من تراث ،عادات،تقاليد،قيم ،دين ولغة.

وشارل أندري جوليان المؤرخ الفرنسي قد قبل هذه النظرية خصوصا في كتابه "تاريخ افريقيا الشمالية" (3)

ميشال دوفوكو: Michel de foucauld ودسائس الإستعمار في منطقة الهقار:

الراهب أو الجاسوس (1858.1916) شخصية استعمارية مزدوجة الأدوار غريبة الأطوار إذ ظلت فرنسا تخشى المرور عبر اراضي الطوارق ولم يحالفها الحظ إلا عندما حل الراهب "ميشال دوفوكو" بمنطقة الهوقار إذ مهد بواسطة الدور التحسيسي الذي لعبه في إرسال معلومات جد هامة عن أوضاع المنطقة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، كانت عونا للمصالح العسكرية الفرنسية في وضع مشاريعها التوسعية (4)

إذ يعد اكبر مستكشف ديني للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة خريج "مدرسة سانسير" بدأ حياته الاستكشافية برحلة إلى مغرب الأقصى سنة (1883.1884)(5)

وفي سنة 1903 التقى بزميله في الدراسة في مدرسة سانسير(لابرين laperrine)الذي أقنعه بأن ينتقل إلى الهقار . فأقام في عزلة بقمم الهقار بمنطقة تدعى **أسكريم** يبلغ ارتفاعها على مستوى البحر 2700 متر . أما طريقته في التبشير فيقول عنها:

" كنت أحاول أثناء جولاتي دائما أن اقترب من المخيمات السكنية وأن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار وذلك بأن أقدم لهم السكر ،و لكنني لم أسجل نجاحا في هذه المساعي ".(6)

مسيرته من خلال بعض الكتابات:

من الكتابات التي نشرت على الساحة الوطنية وأثارت نقاشا حول شخصية **فوكو** ما نشرته خصوصا الجريدة الأسبوعية (الجزائر الأحداث) على متن صفحتها الثقافية الصادرة في الأعداد 1105 و1119 لعام 1987 وذلك مناسبة احتفال الكنيسة بالذكرى المئوية لتوبة **شارل دي فوكو**: ومن بين تلك الكتابات ما جاء في مقال لسيدة كتبت تقول : " كنت في صيف 1959 سجينة في مركز عسكري بالأوراس ...وأثناء مطالعتي عثرت على كتاب عنوانه حياة شارل دي فوكو ، فحياته كلها كانت مجونا وإدمانا على الخمر وتعاطيا للعب القمار وقد كان جد عنيف إلى درجة أدت به أمسية وهو في حالة أثناء لعب القمار إلى قتل ضابط آخر كان قد استفزه ، وكان الجميع ينتظر أن يصدر في حقه حكم الإعدام ولكن ذويه قاموا بالعديد من المساعي والشكاوي فأطلق سراحه مما أثار دهشة عامة في الأوساط الفرنسية..." (7)

وبمجرد ما أطلق سراحه اتجه إلى مدينة القدس ثم اعتنق الدين وعاد إلى فرنسا ليضع تفسه في خدمة الدين والمخابرات الفرنسية بشمال إفريقيا. وبعدها عاد إلى الجزائر فمكث سنة كاملة في **باردو**، حيث تلقى المبادئ الأولية في الطبوغرافيا وعلم الفلك والجغرافيا وعلم الاجتماع لشمال إفريقيا مشيا على الأقدام :حتى غطى رأسه بواقية يهودية.

وكان ينتقل في كل الصحراء يجمع حوله الفقراء والمعوزين عن طريق العلاج المجاني (آفة الرمد كانت شديدة الانتشار) والصدقات ،كانت عنده دائما قطعة من الخبز يقدمها للتعساء . وعموما فان هؤلاء المعوزين ينحدرون من العبيد السود للطوارق.

وكثيرا ما يقرأ أو يترجم الكتابة التارقية ،وكان يشاركه في هذا العمل الرائد "لابرين" الذي كان يشرح له النصوص التارقية.

فرجال الكنيسة والجيش الفرنسي يعرفون حق المعرفة شخصية ونشاط الراهب فتقمص الديانة كما تقمص الزي العسكري ،لهذا فتعاطيه للمخابرات والدسائس والمكائد لم يكن من العبادة والإيمان في شيء.ومن أهم مساعيه تجزئة تديكالت(منطقة بشمال الهقار) إلى ثلاثة أقسام كما يبدو من مراسلاته مع الرائد "لابرين".

وكانت نهاية هذا الراهب القتل عام 1916 على أيدي مجموعة من الطوارق بقلعة بجبل **اسكارم** واستولوا على مخزن الأسلحة الذي كان يخفيه ،كما عثر في منزله في تمنراست على مادة " موجز قاموس فرنسي تارقي" نشر في مجلدين ويبلغ صفحاته 1450 صفحة.

ويحتوي على أهم الأشعار الطارقية بحيث يقدر مجموعها ب215 بيت شعري.(8)

موقف الطوارق من محاولات فرنسا وإغراءاتها:

مع مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء وبذلت مجهودات لإبعاد أطماع بقية الدول الأوربية وخصوصا بريطانيا(9) فهذه البعثات الاستكشافية التي كان ظاهرها خدمة المعرفة العلمية وباطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشرية والعسكرية . ولتحقيق مطامعها انتهجت في هذا

الميدان الطرق السلمية تكسب ود الطوارق باستخدام شتى المغريات مثل منح المناصب والهدايا.

وهكذا تحقق لفرنسا ما كانت تحلم به ،وهو ربط مستعمراتها في وسط افريقيا وغربها بمستعمراتها في الشمال الإفريقي.

ولهذا الغرض جاء "ميشال دوبري" 1960 واستجلب معه جماعة من طوارق تشاد والنيجر والمالي وجمعهم بالحاج الباي أخموك في نزل "تين هينان" بتمنراست بحيث عرض "دوبري"على **الباي أخموك** فكرة تنصيبه سلطانا على هؤلاء الطوارق في دولة إسلامية تشمل طوارق إفريقيا وتمتد حدودها من قارة لغدر إلى جانت إلى إليزي وورقلة إلى الأغواط موضحا له بالقول :" وبهذا يبقى الجزائريون هناك وأنتم هنا." غير أن الباي رفض المشروع مجيبا بقوله:" أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين"

وبعد فشل مسعى "دوبري" أرسلت فرنسا طائرة لاستدعاء **الحاج باي أخموك** فلبى الدعوة في 1961/07/14 إلى باريس استقبل من طرف الرئيس ديغول شخصيا وبلغه مطالب ديغول فكان رده :"ربما قد لا أطلب استقلال الجزائر ولكن الذي أطلبه هو عدم الاستقلال عن الجزائر".(10)

وبذلك خيب الباي ظنون فرنسا ولم تفلح مع وطنيته الصادقة لا إغراءات الملك الواسعة ولا المبالغ المالية التي تعهدت فرنسا عند طرحها لقضية الجزائر أمام الأمم المتحدة على اعتبار الصحراء ليست قطعة من الجزائر ،وأنها قطعة من فرنسا مما يجعل الوفد الجزائري يصدر في مفاوضات ايفيان (10 جويلية1961) بيانا نصه : " إن الجزائر لن تنسى بأن الصحراء ،تحت السيادة الجزائرية"

وهذه الفطنة لم تكن حديثة العهد بل مرامي السياسة الاستعمارية الفرنسية ما فتئت أن اكتشفها السكان المحليون مع مجيء أول الفرق العسكرية بقيادة المقدم فلاترس Flatters سنة 1880 إلى منطقة الهوقار.

وهنا تحضرنا شخصية محمد الحاج البكري(1877 .1900) الذي تفطن لنوايا الفرنسيين وراح يوحد قبائل الهقار ويقضي على الصراعات والتطاحنات القبلية وكان موقفه من الفرنسيين في إحدى رسائله إلى أحد أصدقائه: " لقد جاءوا ولقد ماتوا" ils sont venus il sont morts"(11) كما تذكر المصادر التاريخية أن طوراق "ارقار"و"الهوقار"و"كال ترس"و"كال أوات" وطوارق "تامبوكتو" اجتمعوا في مدينة "غات" وقرروا بالإجماع على مقاومة أية محاولة أوربية للتغلغل في الصحراء .

ونتقل الآن من الكتابات في المجال العسكري إلى الكتابات في الآثار والفنون بصفة عامة. فكيف كانت نوعية هذه الدراسات؟

لا غرابة أن يتكفل الفكر الغربي بواسطة بعض المهتمين بالآثار من أمثال "غوتيه" و"جلود" و"باله" الذين توجهوا إلى الجزائر ابتداء من 1861 بالبحث والتنقيب بمهمة التغليط والتدليس للنيل من حضارة الأخر ولو على حساب الحقيقة والواقع .فهاهو "ريغاس" يحمل نفسه عناء القول بأن قلعة أبالسة بالهقار لم تكن إلا من إبداع الرومان وهي قلعة تبعد عن مدينة تمنراست 80 كلم على ارتفاع 914 م بها بناية من الحجر الجاف :هي ضريح ملكي يطلق عليه سكان منطقة الطوارق عليه سكان منطقة الطوارق اسم "قبرتين هينان" .

إنها صرح اثري رائع اكتشف سنة 1926 من طرف بعثة أمريكية فرنسية في حين أن الطوارق يعرفون جيدا منذ القدم بوجود هذا أرشدهم إليها إذن؟

فالبعثة الأولى قادها "بيرون كوهن byron kuhn تم التنقيب على الهيكل.

اما البعثة الثانية: تمت 1933 من طرف موريس ريغاس M.reygasse و فيها تم العثور على الاثاث الجنائزي(13) والغريب أن بعض الأقلام الغربية الحاقدة التي تمكلتها الدهشة أمام هذا الإنجاز الأثري ، تحاول سلخ هذا التراث بنفي نسبته إلى مبدعيه الحقيقيين كأن "ريغاس" لم يسمع عن أهرامات الفراعنة الذين حفظوا فيها موتاهم بكنوزهم ولا عن حضارة بابل العتيقة. لقد اعتمد "ريغاس" على رواية واهية رواها له (أحد العقال) من قبيلة كل غالا إذ تعتبر قبر "تين هينان" قلعة حصينة قديمة تم بناءها من طرف بيزنطي باسم "جلوتة"Jalouta الذي ارجع بناء هذا الصرح وأنها قلعة مهجورة يلجأ إليها الرومان الذين تتعبهم الأسفار. إلا أن المعطيات الأركيولوجية تؤكد وجود "تين هينان" في الفترة الإسلامية.

وعلى العموم يمكن أن نستنتج أن هذه الرواية ماهي إلا نظرية خيالية لم تلق أي تأييد علمي.

صحيح أن وجود بناية بهذا الشكل في المنطقة معروفة بقلة البنايات الحجرية تبعث على الشك لكن المقارنة بين هذا الضريح وأضرحة أخرى من نفس النوع في شمال بلاد المغرب سمحت لنا القول إن هذه البناية هي ضريح جنائزي شيد لهذا الغرض منذ البداية: وهو يقرب إلى آلمدارسن في منطقة باتنة وقبر الرومية في تيبازة والجدار في فرندة ونجد هذا النوع كذلك في الغرب بالمغرب الأقصى مثل ضريح سيدي سليمان وفي التافيلات التي جاءت منه ملكة الطوارق.

كما يحدثنا أيضا إلى جانب "ريغاس" هنري لهوط Henri Lhote بقوله: "ما يجب معرفته أنه في نهاية الحفر لقد تم جرد 11 غرفة بحيث يعود كل الأثاث الجنائزي إلى القرن الثاني والرابع ميلادي ومعظمه روماني" (14)

حتى تداولت على ألسنة الطوارق اسم "قبر الرومية" وهي فكرة زرعها المستشرق في أذهانهم .

إلا أن الدراسات التاريخية تجمع على أن :كل العناصر التي عثر عليها بالمبنى ترجع إلى تاريخ سابق للرومان.

حكاية "جلوته" غير معروفة فليست شائعة في الأدب الشفوي التارقي.

رواية "قاميس" الذي درس الناحية العمرانية بشمال إفريقيا وقارنها بمبنى أبالسة ، وأعترف بأن الطابع العمراني للصرح له دلالاته التي تدخل ضمن عادات المباني المأتمية البربرية وأن هناك تطابقا بينه وبين النمط العمراني بشمال إفريقيا.

وجود حروف تيفيناغية مطبوعة على حجارة الصرح.

إن تين هينان اسم بربري يعني "صاحبة الخيام" .

الرواية المعروفة ذات الصيت تتحدث بالتفصيل عن مجيء ملكة أسطورية من وادي التافيلات بالمغرب الأقصى .

وبعد سرد هذه الأدلة لتكذيب أغاليط الكتابات الفرنسية يبقى الصرح ليس رومانيا وأنه بربري بلا شك ولا سيما أن الدراسات الأنثروبولوجية قد دعمت ذلك.

كما يمكن أن نستنتج أن عادات الدفن في الضريح والمقبرة لا تشبه العادات الجنائزية الإسلامية بل تبدو سابقة للإسلام .

أكثر من ذلك قد تجاوزت سمعة "تين هينان" عند خيال المؤلف الفرنسي بيار بونوا pierre benoit إذ يقودنا بعيدا عن الواقع سنة 1919 إذ روى عنها حكايات عجيبة حيث جاء فيه أن ضابطين فرنسيين سجنا عند ملكة اسطورية منحدرة من الأطلنت وتعيش في قصر وسط الهقار تدعى أنثينيا « Antinéa » (15). ومن المؤكد أنها شخصية خيالية لدى المؤلف فأسلوب المغامرات معروف لدى الفرنسيين وأخذ

هذه الفكرة من كتابات هنري لهوطHenri Lhote في كتابه a la « decouverte des fresques du tassili" في حين يرى هيرودوث الفيلسوف اليوناني أن سكان الأطلنتيد يقطنون جبل يدعى أطلس وإليه تعود تسميتهم les atlantes الأطلنت .

إذ يؤكد لهوط ويقول : " في قلب الصحراء يجب وضع أطلس هيرودوت"

ولو ذهبنا إلى الدراسة العلمية التي قامت بها الباحثة ماري كلود شاملة maria claude chamla » بالمركز الوطني للأبحاث العلمية في كتابها:

Les populations anciennes de Sahara et des régions limitrophes » " في الصفحة 114.

وحسب المقاسات التي قامت بها الباحثة على هيكل تين هينان لا حظ تمايلي:

"أكتافها عريضة ،رجلاها صغيرة وقامتها (1,72 م . 1,75 م) تشكو من التهاب في المفاصل في الناحية اليمنى يجبرها على العرج وتشويه في العمود الفقري"

أما الدكتور "لوبلان" Dr le blanc درس وحاول من خلال مقارنة اقامها بين دماغ تين هينان واثنين من الطوراق المعاصرين .فوجد أن مقاسات جمجمة الملكة تقدر ب (78,4) بينما مقاسات جماجم الذكور المعاصرين تقدر ب(73,1 و75,7)

وبالتالي فإن مقاسات جمجمة تين هينان اكبر بكثير من جماجم الذكور المعاصرين.

فهل هذا خلق طبيعي للمرأة؟.

فالهيكل قد لا يكون لإمرأة بل لرجل نظرا لحجم الحوض. فلن يكون سوى ل"تسيكي الأعرج" الذي يعتبره ابن خلدون جد الطوارق.

ومن هنا حدث التحريف وتأنيث ما ذكره ابن خلدون وتحول عند غوتيه ب "تسيكي العرجاء" (16)

والعجيب في ذلك أن المؤلف غوتيه استند هو أيضا إلى تفسير ابن خلدون ولكن بعد التغيير الذي أقامه هو.

وتجدر الإشارة هنا أن "بوبو حاما" Boubou Hama أجد كتاب الأفارقة يرى هو أيضا عكس مايراه غوتيه إذ يقول :"إن الهيكل العظمي الذي تم إيجاده في تفاغين من جنس ذكر ." (17)

ويبقى السؤال مطروحاً أين الحقيقة الواقعية والأسطورة المتخيلة ؟.

وإذا تدخلنا من خلال الربط بين العنصر الأول وهو "الهضبة " والعنصر الثاني وهو "تين هينان" أي بين الشيء المادي والشيء الروحي ،نستطيع القول بأن مند كان الإنسان على هذه الأرض وهو مادي ومعنوي معا، بمعنى يمارس حقه بتحقيق الجانب الجسدي وفي ذات الوقت الذي يمارس تحقيق الجانب الروحي فيه ، فبتجديد المكان وإثبات الأصل نعرف بذواتنا.

أليس هذا هو أقرب فهم إلى الواقع منه إلى الأسطورة؟.

قصص ارتداء اللثام:

أما فيما يخص ارتداء اللثام عند الطوراق فإن فرضيات بعض الرحالة والمستشرقين اختلفت حول سبب تمسك الطوارق باللثام نلخص أهمها فيما يلي:

أ. يؤكد هنري لهوط henri lhote أن اللثام يمكن من سهولة التخفي أثناء الحروب وعند القيام بعمليات الغزو والأخرى وعلى القوافل (18).

ب. أما "جينترجون" لإخفاء الجروح الناتجة عن الحروب التي يخوضها الطارقي حتى لا تحتقره زوجته عند العودة.(19)

ج. يحدثنا جوتيه ويقول هو الخوف من اتصال الأرواح الشريرة بنفس الإنسان عن طريق الفم والأنف. (20)

أما الرواية الأخيرة وهي الأقرب إلى الصواب والمنطق أن ارتداء اللثام لتجنب رمال الصحراء وأشعة الشمس المحرقة (21)

والملاحظ أن هذه الطرافة والغرابة في الكتابات الاستشراقية الفرنسية تجرأت حتى على مس شرف وكرامة الرجل الطارقي الذي يقول عنه من جديد **هنري لهوط** إن أجداد الطوراق عندما كانوا في اليمن يضعون اللثام من أجل أن يتشبهوا بالنساء لتتاح لهم فرصة الهروب من بلادهم والفرار من الحروب المستمرة ضد أعداءهم.

ويجيب عليهم ابن حامد الكاتب بقوله:

☆ قوم لهم درك العلى في حمير وإن انْتُمُوا صنهاجة فهم هم

☆ لما حووا إحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا.

وحكمة القول حول هذه الكتابات ما أقره بول Paul Pandolfi في مقاله :

" La construction du mythe touareg »

"حتى بداية القرن التاسع عشر ,الطوراق شعب غير معروف بالنسبة للغربيين ،ولن يكون ذلك ممكنا إلا بوجود الفرنسي على أراضيها ،وفي منتصف القرن التاسع عشر تم اكتشاف الطوارق من أطراف علماء الغرب"

نقول لهذا المستشرق عليك أن تعود إلى المصادر الأولى في التاريخ وإلى ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" وابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " والطبري "تاريخ الأمم والملوك" وابن خلدون " كتاب العبر " وابن حوقل وغيرهم الذين تصدروا الكتابة عن الطوارق.

الخاتمة:

إننا نعيش اليوم . بلا شك . نهاية الجنون الإيديولوجي القائم على صراع النفي والإثبات وغدا حوار الحضارات بديلا طبيعيا عن وحدة الثقافة و مركزية الحضارة الأوروبية. وغدا بذلك مفهوم الثقافة العالمية في الشكل الذي أرادها لها الرجل الأوروبي، أكثر سذاجة من أي مفهوم أخر يمجد الفكر الإنساني.

فهل في الثقافة الأفريقية ما يدعوا إلى حوار حقيقي ينفتح على المستقبل في حركته المتجهة صوب إعادة الاعتبار للإنسان في كل الاتجاهات التي يتشكل منها وجوده الحضاري؟.

يقول روجيه غارودي: "هناك إذن حساسية مفتوحة على دروب أمل أخرى أمام الإنسان.وإن الفن الإفريقي يقترح طبيعة إنسانية معاشة وتمثيلها فنيا في طبيعة إنسانية جائزة للإنسان .إنها نفخة روحية حقيقية."

فلقد حكم الغرب على الشعوب الأخرى بالبدائية ،لأنها عاشت حسب حقب تماثل ما كانت عليه أوربا منذ ألاف السنين.

في حين أن الاقتراب من ثقافات الشعوب الأخرى قد يضعف هذه المغالطة ،فالشعوب الإسلامية تتوفر على قدر من المتعالي الذي يجعلها تنظر إلى الثقافة الأوروبية كثقافة قديمة لاحظ لها في المستقبل .فهي تتشابه وثقافة ما قبل الإسلام ،التي تحولت في الوعي الإسلامي إلى حالة فوق الزمان والمكان من ناحية المعنى سوف يبقى هذا الرجل الإفريقي وخاصة في الصحراء الكبرى منشئ الحضارات الزراعية الأولى .فهذا الإنسان بدل الكائن الغريب البدائي فلا وجود لشعوب بدائية ،كل الشعوب راشدة .

فحضارة الغد في حضارة "الرجل الأسمر".

وأخيرا ما يمكن أن نستنتجه أن أغلب الدراسات الاجتماعية التي قام بها جمع من الباحثين الغربيين تنتظر من الباحثين العرب مراجعة كتاباتهم والتي ما هي إلا استشراق على الطبيعة أو أغراض خاصة .

وهنا يتولى الأستاذ "محمد كرد علي" رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق في مجلة لاروس الباريزية بهذا الحكم:

" ولذلك نرى من واجبنا أن يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام من الفرنسيين على الإسلام والمسلمين ذلك لأنه ثبت أن من الفرنسيين من لا ينظرون إلى كل أمر إلا بمنظار الاستعمار." (22)

ولكن قبل أن نصب هذا النقد على الكتابات الأجنبية ، فالمطلوب منا كتابة تاريخنا بأقلامنا بكل موضوعية ونزاهة فنباشر نحن بالعمل الجدي قبل غيرنا.

الإحالات :

1) مجلة المربي : التاريخ والمواطنة العدد 08 شهر ماي وجوان 2007 المركز الوطني للوثائق التربوية (CNDP) .
2) د.عبد الجليل التميمي ،التفكير الديني والتبشري المجلة المغربية التاريخية ص14
3) ابوالقاسم سعد الله :أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1978 ص 62.
4) Lessourd (p) : la vrai figure de père Foucauld .Flammarion paris 1933.
5) اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها (م.و.ك) S.n.e.d الجزائر 1983 ص 110.
6) اسماعيل العربي : نفس المرجع ص 113
7) عبدالسلام بوشارب : الهقار . أمجاد وأنجاد . نشر المتحف الوطني للمجاهد 1995ص 113.
8) Kraus reprint : revue africaine journal des travaux de la société historique algérienne (opu) alger vol 63 1922 p 490
9) أحمد ابراهيم دياب: لمحات من تاريخ الإفريقي الحديث الرياض دار المريخ 1981 ص 181
10) عبدالسلام بوشارب : نفس المرجع السابق ص 143.
11) مجلة الرؤية : المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 العدد الأول جانفي / فيفري عام 1996 ص 103.
12) M . djebari : les survivants de la mission Flatters Tunis impr brigol 1895 p . (13).
13) Houaria mahras : bijous et mobilier funéraire de « tin- hinane » abalessa – catalogue du musé national de bardo alger P.11

14) Henri Lhote : le Hoggar espace et temps Armand colin paris 1984 p118

15) Pierre benoit : l'Atlantide : présente par Tahar djaout édition enag 1988 p198

16) E F GAUTIER : le passe de l'Afrique du nord petite bibliothèque Payot paris 1964 p 198

17) Boubou hama : recherche sur l'histoire des touaregs sahariens et soudanais présence africaine paris 1967.

18) Henri Lhote : les touaregs du Hoggar paris .payot 1955 P 326-328/

19) جينترجون : داخل افريقيا : ترجمة محمد رفعت وآخرون القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية 1957 الجزء 2 ص 223

20) جوتييه أندريه : الصحراء ترجمة أحمد كمال يونس القاهرة – لجنة البيان العربي 1957 ص 182.

21) Blanguernon (Claude) ; le Hoggar paris .Arthaud 1965 p 103

22) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية .المكتبة العصرية صيدا بيروت ط 5 عام 1973 ص 220.